وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾
سُورَةُ يٰسٓ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

سورة يس

﴿يس﴾ الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ القرآن المحكم بعجيب النظم، وبديع المعنى ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إنك يا محمد أحد الرسل الكرام ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على منهج واضح، وطريق مستقيم ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ ما جاءهم رسولٌ قبلك زمن الفترة ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الهدى والإيمان، يتخبطون في ظلمات الجهل وعبادة الأوثان ﴿أَغْلَالًا﴾ قيوداً تُشدُّ بها أيديهم إلى أعناقهم ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ رافعو الرؤوس مع إغماض البصر. . شبّه تعالى حال الكفار بصورة من غُلّت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال، فاصبح رأسه مرفوعاً، لا يستطيع له خفضاً ولا انحناء ﴿سَدًّا﴾ مثلُ ثانٍ، شبّههم تعالى بمن حُجز بين سدّين: سدٌ من أمامه وسدٌ من خلفه، وسُدّت الطرق في وجهه، فكيف يهتدي إلى مقصوده؟ لذلك قال: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي غطّينا أبصارهم فلا يرون شيئاً!! ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ خطاهم إلى المساجد ﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ضبطناه في صحائف أعمال البشر، والإمامُ: الكتابُ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ القسَمُ بالقرآن العظيم على رسالته ﷺ، فيه تفخيمٌ وتعظيم لشأن الرسول ﷺ، فلم يُقسِم الله في كتابه العزيز، لأحدٍ من أنبيائه بالرسالة، إلا لمحمد ﷺ، وكفى بذلك شرفاً وتعظيماً لخاتم النبيّين. **قال ابنُ عباس**: قال كفارُ قريش: لست يا محمد مرسلاً، وما أرسلك الله إلينا!! فأقسم الله بالقرآن المحكم، أن محمداً رسولُ الله، وأنه من جملة المرسلين صلواتُ الله عليهم أجمعين.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ
الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن
لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن
يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ بلدة «إنطاكية» على المشهور ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ قوّينا وشددنا أزرهما برسول ثالث ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم وبدعوتكم القبيحة بترك عبادة الأوثان ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾ إن لم تكفّوا عن دعوتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة حتى تموتوا ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ ولنقتلنكم شرّ قتلة ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ شؤمكم ليس بسببنا بل بسبب كفركم وعصيانكم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ هل إذا نصحناكم ووعظناكم تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بالرجم والانتقام؟ ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ بل حقيقة الأمر أنكم قوم مسرفون في العصيان والإجرام!! ويظهر من السياق أن القوم عزموا على قتل الرسل، فأرسل الله إليهم رجلاً أميناً ناصحاً خوّفهم من عذاب الله ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ من أبعد أطراف المدينة ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه خوفاً من أن يقدموا على قتل الرسل، واسمه «حبيب النجار» كان قد آمن بدعوة الرسل ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ اتبعوا الرسل الكرام الذين لا يريدون لكم إلا السعادة، فتوعدوه وهدّدوه، ولمّا أعلن إيمانه وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، فأدخله الله الجنة فقال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن مسعود: إنهم وطئوه بأقدامهم، حتى خرجت أمعاؤه، فقال له ربه: ادخل الجنة، فدخلها فهو يُرزق فيها، قد أذهب الله عنه سُقْم الدنيا، وحُزنها ونصبها، فحين دخل الجنّة قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وقال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً.

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

الجزء ٢٣ (الجزء الثاني)

﴿جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لم نرسل على قوم «حبيب» ملائكة من السماء، لإهلاكهم، فإنهم كانوا أذلّ وأهون على الله من ذلك ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ الملائكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ ما كانت عقوبتهم إلّا صيحةً واحدة صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ هلكى ميّتون، أخمدت أنفاسهم حتى صاروا كالنار الخامدة ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ يا أسفي على هؤلاء المكذبين، إنهم أحقاء أن يُتحسر عليهم ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ علامة لهم على كمال قدرتنا، فالأرض اليابسة الجرداء ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بنزول الماء ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أخرجنا فيها أنواع الحبوب غذاء لهم ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ ليأكلوا من ثمرات النخيل والأعناب ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ولم تعمله أيديهم، إنما هو من فضل الله ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أفلا يشكرون ربهم على نعمه!! ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف كلها، من الزروع، والثمار، والذكور والإناث، ومن مخلوقات عجيبة ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ نذهب عنه ضوء النهار ﴿مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في ظلام دامس ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ كغصن النخيل اليابس. . والتعبيرُ بقوله: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ جاء في غاية الإبداع والجمال الفنيّ، فقد صوّر النهار وكأنه لباسٌ ساتر، يَلفُّ جسدَ الليل، فيغطّي ظلمتَه، فإذا خلعنا الثوب عن الجسد، بدت ظلمةُ الليلِ الدامس، وهكذا الأرض تتزين بالنهار بأبهى حُلل النور، فإذا نُزع عنها اللباسُ عاد الظلام يلفُّ الكون بشبح مخيف، وهذا من بديع الاستعارة.

﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ آباءهم السابقين ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ في السفينة المملوءة بالبشر والأنعام وأصناف المخلوقات، والمراد بها: «سفينة نوح» ﴿مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ وخلقنا لهم سفناً يركبونها أمثال سفينة نوح، وقيل: هي الإبلُ تسمى «سفن البر» ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ لو أردنا لأغرقناهم في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ لا مغيث لهم ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ ولا أحد يستطيع إنقاذهم من الغرق ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي نفخة إسرافيل في الصور ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ تأخذهم مفاجأة وهم يتخاصمون في دنياهم ﴿تَوْصِيَةً﴾ لا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضاً ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ولا يستطيعون أن يرجعوا إلى أهليهم ومنازلهم، لأن الأمر أسرع من ذلك ﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون الخُطى في الخروج ﴿مِّن مَّرْقَدِنَا﴾ من الذي أخرجنا من قبورنا؟ فتقول لهم الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ﴾ هذا يوم البعث الذي وعدكم ربكم به ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ وصدق رسله الكرام ﴿مُحْضَرُونَ﴾ تحضرهم الملائكة للحساب والجزاء.. **قال ابن كثير**: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هذه الصيحة (نفخةُ الفَزَع) ينفخ إسرافيلُ في الصور، والناسُ في أسواقهم ومعايشهم، يختصمون ويتنازعون، ثم تكون (نفخة الصعق) أي الموت التي يموت بها جميع الأحياء، ثم بعد ذلك (نفخة البعث) وهي النفخة الثالثة، وفي صحيح البخاري: «**ولتقومنَّ الساعةُ وقد رفع أُكلتَه إلى فيه** ـ أي اللقمة ـ **فلا يَطْعَمها**». اهـ. ابن كثير.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿فِي شُغُلٍ﴾ في نعيم عظيم يُلهيهم عن الاهتمام بأهل النار ﴿فَٰكِهُونَ﴾ مسرورون، قال ابن عباس: شغلهم سماعُ الأوتار، وفضُّ الأبكار، عن أهاليهم من أهل النار، لئلا يتنغصوا ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ لهم في الجنة ما يتمنون ويحبُّون ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ انعزلوا يا معشر المجرمين عن عبادي المؤمنين ﴿تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ألم أوصكم أن لا تطيعوا أمر الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عدوٌّ ظاهر العداوة ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ خلقاً كثيراً من البشر ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ ذوقوا حرّ جهنم بسبب كفركم ﴿نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ نختم على أفواه الكفار، ختماً يمنعهم من الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ تنطق الأيدي والأرجل بما اقترفوه من جرائم في الدنيا، وفي الحديث: «يقول العبد: إني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيختم على فيه ـ فمه ـ ويقال لجوارحه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكنَّ وسُحقاً فعنكن كنت أناضل» رواه مسلم ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ أعميناهم ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ تبادروا الطريق فلم يبصروه ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ مسخناهم في مكانهم الذي هم فيه، فلم يستطيعوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ من نطل عمره، نجعله منتكساً كالطفل، ضعيف القوة والعقل، لا يكاد يعي الكلام، وينسى كثيراً مما يسمع.. صوّرهم القرآنُ في صورتين غريبتين:

١ ـ صورة العميان يتبقون الطريق، وهم يصطدمون ويتخبطون.

٢ ـ صورة الممسوخ من صورة آدمية، إلى صورة بهيمية، بحيث صار كالقرد القبيح المنظر.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾
سُورَةُ الصَّافَّاتِ

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ مما خلقناه لهم من الأنعام ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ جعلناها ذليلة منقادة لهم، يقودها الصبي فتنقاد له، ولولا هذا التسخير لما استطاعوا أن يركبوها ويضبطوها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ منها ما يركبونه ويحملون عليه الأثقال كالإبل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ يأكلون لحمه كالبقر والغنم ﴿ءَالِهَةً﴾ عبد المشركون آلهة من الأحجار ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ رجاء منهم أن ينتصروا بها ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ لا تستطيع هذه الآلهة نفعهم لا بنصرة ولا بشفاعة ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ وهؤلاء الكفار خدم للأصنام، يدفعون عنها ويغضبون من أجلها، كالجند لها ﴿نُّطْفَةٍ﴾ شيء حقير مهين ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ شديد الخصومة والجدال بالباطل، يخاصم ربه وينكر قدرته على إعادته بعد موته ﴿وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ ضرب لنا الكافر المثل بالعظم الرميم، فقال: من يحيي الإنسان بعد فنائه، وتمزق أشلائه؟ نزلت في «أُبيّ بن خلف» جاء إلى رسول الله بعظم بالٍ وفتّه أمامه وقال: يا محمد أتزعم أن الله يبعثنا بعد أن نصبح رفاتاً مثل هذه؟ فقال: نعم يبعثك ويدخلك النار، فنزلت الآية، رواه الحاكم ﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يُحييها الذي أوجدها أول مرة، قادر على إعادتها بعد فنائها ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أليس هذا الإله الخالق العظيم، الذي خلق هذا الكون البديع، قادراً على أن يعيد البشر بعد موتهم وفنائهم؟ بلى إنه على كل شيء قدير.

* * *